حول كتاب مبادئ التحليل الرياضي

الدكتور عبدالمجيد نصير – جامعة اليرموك

بالأمس تلقيت نسخة من هذا الكتاب؛ وأشهد لقد غمرتني بفيض من مشاعر الرضى التي قلّما يجود بها الزمان في هذه الأيام. ذلك أن الدكتور نصير يقدم لكتابه بقوله: إن "المكتبة العربية بحاجة إلى مثل هذا الكتاب ليساهم في تنفيذ عملية التعريب الجامعي التي نحرص جميعاً عليها".

ولقد بعث لي الزميل المؤلف كلمة فحواها أن كتابه إنما هو أول الغيث الذي سينهمر، دفعاً بعملية التعريب، ولكن لا بالترجمة وحدها، بل أيضاً بالتأليف. ومثل هذا الاتجاه لمحته لدى أساتذة في كلية العلوم في الجامعة الأردنية.

وجواباً عن ذلك أقول، من أعماق القلب: الحمد لله، الحمد لله أن قد انضم إلى العاملين في التعريب دم جديد. إن الكرة التي قذف بها مجمع اللغة العربية في مضمار التعليم الجامعي لم تطوِّحها الريح، ولقد أعطتها جامعة اليرموك الفتية، ممثَّلَة بالدكتور عبدالمجيد نصير، دفعة جديدة، وأمدتها بدفق من الحيوية والطاقة؛ فهي تدور وستدور؛ والدعوة الصادقة لم تذهب كصيحة في واد.

الحمد لله، وأهلاً بالأستاذ وزملائه فتية مؤمنة واثقة تصنع الرجال.

ويقيناً، مذ شرع مجمع اللغة العربية بترجمة الكتب العلمية الجامعية، كان نصب عينه أن هذا الذي يصنعه إنما هو في إطار مشروع أوسع؛ ذلك هو ترجمة الفكر العلمي العالمي إلى العربية، وهذا مسار طويل عريض، بطول المستقبل وعرضه، وهو دائم ما دام هناك فكر ينتج ونتاج يُكْتَب. ولكنّا نرى أن الحاجة تفرض علينا أن نعطي الأولوية فيما نترجم إلى ما يفيد الشباب في مرحلة تكوّنه؛ أعني الكتب التدريسية الجامعية على الأخص، لتكون نواة تعين الطالب والمدرس، ولا سيما في المراحل الأولى من تعريب التعليم. ولم يغرب

عن بالنا لحظة أن ترجمة هذه الكتب سيتلوها، عاجلاً أو آجلاً، تأليف كتب فيها من أصالتنا وابتكارنا، ومن خبراتنا المتزايدة ما يجعلها تنبثق من واقعنا، وتتلاءم مع طبيعتنا، وترتفع بهذا الواقع والطبيعة إلى رحاب حضارية أسمى، إذ تعمل على مسايرة أحدث الكتب التي تنتجها مطابع العالم وتمضي معها في مستوى واحد.

فعملية الترجمة وعملية التأليف ترفد إحداهما الأخرى وتسندها، وكلاهما جهد لا ينتهي ومعين لا ينضب. وها هو الدكتور عبدالمجيد نصير وإخوانه يمضون في سبيل التأليف على بركة الله، في حين يمضي المجمع في سبيل الترجمة، ترجمة الفكر العلمي والكتب التعليمية؛ وعلى الله التوفيق. على أنا جميعاً مطالبون الآن بالتخطيط لرفع مستوى اللغة الإنجليزية لدى طلبة العلوم كي نضمن ألا يخسر الطلبة شيئاً، لا في حاضرهم ولا في مستقبلهم.

وإذ يمضي الزملاء في سبيل التأليف، بعد أن خاضوا تجربة بها تميزت كلياتنا العلمية، هي تجربة تصيد أحدث ما تصدره المطابع وأنسبها، ليضعوه بين أيدي طلابهم، كي يبقوا وإياهم مسايرين للتطور العلمي السريع، فلن يكونوا في عهد التأليف أقل مسايرة للتطور، أو أقل تفتحاً على كتب الغرب أو تصيداً لها. إن التطور العلمي، من ناحية، وتنافس دور النشر الأميركية، من ناحية أخرى، جعلت كل كتاب علمي جامعي قصير الأجل، لا يعمر أكثر من خمس سنوات، في غضونها يجدد ليلحق الركب، أو يلقى في زاوية النسيان. وهذا ما ينبغي أن يكون عليه شأن الكتب التي نؤلفها. فلن يكون تأليف الكتب العلمية احتكاراً يدعو إلى التحجر، بل سيكون تداعياً إلى التطوير فيه يتنافس المتنافسون، أما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

يبقى الآن الحديث عن كتاب الدكتور نصير بالذات:

يقول الأستاذ في مقدمته إنه اختار الأرقام المغربية "انسجاماً مع توصيات لجنة خاصة من المجمع اللغوي في الأردن". فإليه أقول مؤكداً أن المجمع لم يوص بشيء في هذا الصدد، بل هو لم يتصد أصلاً لدراسة أمر الأرقام، لا على صعيد المجلس، ولا على صعيد اللجان. وكل ما في الأمر مما يتعلق بموضوع الأرقام، أنني، شخصياً، نشرت في مجلة المجمع مقالة دعوت فيها إلى استعمال المجموعتين المشرقية والمغربية، كلاً في ميدان تخصص له. وأشهد أن من زملائي في عضوية المجمع من خالفني الرأي.

ولقد دعوت، وما زلت أدعو، إلى استعمال المجموعتين، كلاً في مجال، لأني أرى أنها مجرد رموز معروفة لدى الكاتب والقراء، وإن للكاتب أن يستعملها بلا تحرج، لأن الامتناع عن استعمال رمز يرى فيه مزايا تجعله ينقل أفكاره إلى قرائه على نحو أوضح، إنما هو خضوع لحساسيات أولى بالعالم أن يعلو فوقها.

وكل ما في الأمر مما يتعلق بالمجمع – من بعيد– أن لجنة الترجمة والتعريب والنشر، التي عنها انبثق المجمع، درست في الماضي أمر هاتين المجموعتين دراسة لم تفض إلى توصية. ثم إن الجامعة الأردنية انتدبت لجنة لدراسة الأمر عينه، برئاسة الأستاذ الكبير الدكتور عبدالعزيز الدوري، وقد كنت من أعضاء هذه اللجنة، ولقد حاولت أن أحصل على توصية بإباحة استعمال المجموعتين، كلاً في مجال، فلم توافق اللجنة. ثم إن الأستاذ الدوري كتب بلباقته ودقته المعهودتين تقريراً لخص فيه الآراء ولم يوص بشيء.

وأضيف أنني التقيت في بغداد بإخوان كرام عاتبوني، بالأدب العراقي الجم، والبيان العراقي المشهود، إذ أدعو إلى مثل هذا التغيير في وقت نحن نعاني فيه من عقدة الهزيمة. فليدع الأستاذ نصير ربه أن تزول هذه

العقـدة قبـل أن يخـرج كتابـه خـارج الأردن، وإلا فليتحمـل، جمـل المحامـل، وحده تبعة ما ضيع.

لست أعني أني لا أقر المؤلف على تغيير يراه نحو الأفضل بحجة أن الناس لا يستحسنونه، ولكني لا أرضى له، وهو المعروف بشجاعته، أن يتوارى خلف غيره. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لا تقنعني حجته بأنه اختار هذا السبيل لأنه يريد لكتابه أن ينتشر في العالم الواسع، فإن الذين يستعملون الأرقام المشرقية في العالم العربي أكثر من الذين يستعملون الأرقام المغربية.

إنـي أوافـق الـدكتور نصـير علـى أن المجموعـة المغربيـة أنسـب للأعمـال الرياضـية والعلميـة عامـة، والعمليـة أيضـاً، مـن المجموعـة المشـرقية، وكنـت أتمنى لو جاءت هذه الخطوة في مرحلة مبكرة، كبدء المرحلة الثانوية مثلاً.

ولكن إذا كان مجرد استبدال أرقام بأرقام، ومجرد استعمال الأرقام المغربية إلى جنب المشرقية، كلاً في مجال يخصه، ما يزال يلقى معارضة، فما بالك بنقل الجداول تصويراً عن الأصل الإنكليزي، عناوين وترتيباً ورموزاً!

إني أخشى على صديقي الدكتور نصير أن يتهم بصدد هذه الجداول بالدعوة إلى التغريب لا إلى التعريب.

ولقد أحسن الدكتور نصير إذ جعل محاولته الأولى في الطباعة تصويراً عن الآلة الكاتبة كيما يبقى المجال مفتوحاً للتعديل حسبما تملي التجربة ويقتضي الاستعمال. وفي هذا ما يفوت علينا فرصة محاسبته على شكليات كثيرة فرضتها قيود الآلة الكاتبة. وأنا على يقين من أنه سيتلافاها في الطباعة.

فإذا تجاوزنا الشكليات ونظرنا في المضمون مثل أمامنا سؤال جوهري: ما المقرر الذي يستوفيه هذا الكتاب؟ وإذ نفتقد المقرر نفترض أن المؤلف قد وضع

كتابه ليكون، كله أو أكثره، كما جاء في المقدمة، وافياً بمقرر مساقين أوليين في الرياضيات لطلبة الاقتصاد والإدارة والتجارة.

فإذا حاسبناه على أساس من هذا الفرض نحكم بأن الكتاب يناسب طلاب القسم العلمي لأن أكثره إنما هو مراجعة لما سبق أن درسوه في المرحلة الثانوية.

وأما طلاب القسم الأدبي فلهم الله. ها هنا، كشأني في مناسبات أخرى، أجدني أتوجه إلى صديقي عبدالمجيد بكلمتين لطيفتين: "رفقاً بالقوارير!" والقوارير هنا هم الطلاب من غير المتخصصين بالرياضيات أو المؤهلين للتخصص بها.

تبقى كلمة واحدة أقولها إلى الدكتور في هذه العجالة:

إني أوافق على أن الرمز "لن" خير من "لط" الذي لا يستسيغه الذوق العربي. واعترف بأني أنا وحدي المسؤول عن هذا الرمز القبيح. ولكن لو سأل طالب إنكليزي معلمه: من أين جاء الرمز (Ln)، لأجاب المعلم أنه مختصر عن الاصطلاح (Logarithm natural). وإذا سأل طالب عربي معلمه: من أين جاء الرمز (لط)، أجاب المعلم أنه مختصر عن الاصطلاح (لوغرتم طبيعي)؟ فماذا يجيب المعلم إذا سئل: من أين جاء الرمز (لن)؟

يبدو لي في هذه اللحظة أن "ل هـ" خير من "لن" باعتباره اللوغرتم للأساس هـ. وأحب أن تبقى الهاء هنا بمثل شكلها في أول الكلمة لتذكر القارئ بأنها رمز متميز.

الدكتور أحمد سعيدان

(عضو مجمع اللغة العربية الأردني)